

# الأسطوغرافيا المعاصرة وتاريخ الزمن الراهن تحديات ورهانات

د. قاسم الحادك

أستاذ التاريخ الراهن،  
جامعة شعيب الدكالي - الجديدة - المغرب.



مركز نهوض

لدراسات والنشر

NOUHOUD CENTER  
FOR STUDIES  
AND PUBLICATIONS

## الفهرس: ◀

٣	..... الملخص
٤	..... مقدمة
٤	..... أولاً: تاريخ الزمن الراهن مسار طويل من أجل إثبات الشرعية
١٠	..... ثانياً: تاريخ الزمن الراهن وتجاوز المُعيقات والتحفظات
١٣	..... ثالثاً: تاريخ الزمن الراهن: رهانات وتحديات جديدة
١٤	..... ١- وظيفة المؤرخ الخبير
١٨	..... ٢- الشاهد ومؤرخ الزمن الراهن
٢١	..... خلاصة
٢٢	..... بيبلوغرافيا

## ◀ الملخص:

ساهمت المتغيرات التي عرفها العالم بين سبعينيات القرن العشرين ومطلع القرن الحادي والعشرين في تحوُّل التاريخ إلى رهان سياسي كبير وتعاضم حضوره في المجال العمومي، ولم يكن أمام المؤرخين من مناص كي يعكفوا على التاريخ الجاري بالبحث والتدبُّر والمعالجة، فاضطروا إلى تجديد مقارباتهم وأدواتهم قصد استيعاب المتغيرات بيسر، والتفاعل معها باقتدار، وأصبحت المُساءلات الإبتيمولوجية والأسطوغرافية عندهم مثقلةً أكثر بالرهانات. وانطلاقاً من ذلك صار تاريخُ الزمن الراهن قطاعاً أسطوغرافياً قائماً بذاته يحظى بالشرعية في الأوساط الأكاديمية.

غير أنه وبموازاة هذه الوضعية التي أصبح يحظى بها تاريخ الزمن الراهن، طفت على السطح إشكاليات جديدة، وأصبحت تُواجه مؤرخي الزمن الراهن تحديات مختلفة.

وعلى عكس نهاية الثمانينيات؛ حيث كان الجدل قائماً حول شرعية تاريخ الزمن الراهن وإمكانية القيام به، أصبح النقاش اليوم يدور حول خصائص هذه الفترة ورهاناتها، وهي نقاشات أصبحت تفرض نفسها، ولا يجب أن يتجاهلها مؤرخُ الزمن الراهن. فهذا الأخير بات مطالباً بالاستجابة إلى طلب اجتماعي، وطلب بتحويله إلى خبير. وهي تحديات تهدد اختصاص المؤرخ وشخصيته البحثية وتُنذر بحدوث انحراف عن وظيفته المعرفية.

الكلمات المفتاح:

تاريخ الزمن الراهن - التطور - المكتسبات - التحديات.

### ◀ مقدمة:

بعد مسيرة طويلة من الإقصاء والتهميش استمرّت منذ القرن التاسع عشر، رفض خلالها أغلب المؤرخين مقارنة الأحداث القريبة ودراستها- شهد العقدين الأخيرين من القرن الماضي إعادة اعتبار متأخرة نسبياً لتاريخ الزمن الراهن، وأصبح هذا الأخير حقلاً تاريخياً قائماً بذاته يحظى بالمشروعية في الوسط الأكاديمي، فيما يشبه ثورة هادئة حققتها الأسطوغرافيا المعاصرة.

وتم تجاوز النقاش الحاد الذي ميز الوسط العلمي بين المؤرخين المؤيدين لتاريخ الزمن الراهن، والمعارضين له الذي شككوا في مصداقيته ورفضوا إقامه ضمن الكتابة التاريخية، وعارضوا اعتبار دراسة التاريخ الراهن ممارسة تاريخية، فقد بينت العديد من الإنتاجات التاريخية لمؤرخي الزمن الراهن أن هذه التحفظات السابقة لا تخص التاريخ الراهن وحده، وإنما تشمل باقي التخصصات التاريخية الأخرى من جهة، ولا تحول دون مناقلة قضايا هذا الحقل التاريخي مناقلة علمية مستوفية للضوابط المنهجية من جهة ثانية.

غير أن هذا التطور الذي عرفته المعرفة التاريخية في أوروبا والعالم خلال هذه الفترة أفرز عدة تحديات مرتبطة بخصوصيات الزمن الراهن؛ كونه تاريخاً يكتب تحت مراقبة الشهود، وتحت ضغط الذاكرة، فمؤرخ الزمن الراهن بات مُطالباً بالاستجابة إلى طلب اجتماعي، وطلب بتحويله إلى خبير. وهي تحديات تهدد اختصاص المؤرخ وشخصيته البحثية، وتندرج بحدوث انحراف عن وظيفته المعرفية.

### ◀ أولاً: تاريخ الزمن الراهن مسار طويل من أجل إثبات الشرعية:

عانى تاريخ الزمن الراهن من الرفض والتهميش منذ نهاية القرن التاسع عشر، أي منذ أن أصبح التاريخ علماً له مناهجه ومتخصصوه، يركز على الفصل الواضح بين الماضي والحاضر<sup>(١)</sup>، واعتبر لفترة طويلة تخصصاً هامشياً قوبل بالازدراء والاحتقار، واشتركت في تبخيسه تقريباً جُلُّ المدارس التاريخية التي طردته من رحاب البحث التاريخي ونفت عنه أيّ صفة علمية<sup>(٢)</sup>.

(١) هارتوغ، ف. (٢٠١٠). تدبير التاريخانية الحاضرة وتجارب الزمن، (بدر الدين عرودي، مترجم). بيروت: المنظمة العربية للترجمة. ص٢٠٨.

- Soulet , F. )2009 (. L'histoire immédiate. Histographie, sources et méthodes, Paris: Collection U, Armand Colin. p16.

(٢) ليسير، فتحي. (٢٠١٢). تاريخ الزمن الراهن: عندما يطرق المؤرخ باب الحاضر (ط١). تونس: دار محمد علي للنشر. ص١٦.



تجلى هذا الموقف الراض بشكل واضح مع المدرسة الوضعية المنهجية، التي استمرت من نهاية القرن التاسع عشر إلى أواسط القرن العشرين، وركزت على التاريخ السياسي والعسكري، ووضعت ضوابط علمية ومنهجية دقيقة وصارمة، واعتبرت التاريخ مجرداً تدوين لأحداث ووقائع مضت، ومهمة المؤرخ تتمثل أولاً وأخيراً في دراسة الماضي المنصرم.

كما أكدت على ضرورة وجود مسافة زمنية كافية تفصل بين المؤرخ وموضوع بحثه من أجل كتابة التاريخ كتابة علمية<sup>(3)</sup>. وانطلاقاً من ذلك ألح رواد هذه المدرسة على أنه لا مجال لمقاربة القضايا الراهنة، وهو ما أكده أيضاً غبريال مونود Gabriel Monod في العدد الأول من المجلة التاريخية سنة ١٨٧٦م بقوله: "لا يمكن للمؤرخ أن يهتم بفترة ما إلا حين تصبح هذه الأخيرة مينةً بالكامل، فمجال التاريخ هو الماضي، في حين يعود الحاضر إلى السياسة"<sup>(٤)</sup>.

بخلاف المدرسة الوضعية، اهتمت مدرسة الحوليات بالتاريخ الراهن، وشددت على ضرورة الربط بين الماضي والحاضر، وجعلت من رابطة «ماضي حاضر»- التي ما فتئت تتأكد باستمرار- معنى المقاربة التاريخية، وأحدثت بذلك قطيعةً مع التصور الماضيي الصرف السائد في الكتابة التاريخية<sup>(٥)</sup>.

وجاء هذا التحول في الموقف من التاريخ الحاضر في إطار التجديدات التي أحدثتها هذه المدرسة في مجال الدراسات التاريخية، سواء في المنهج أو في الموضوعات، حيث اعتمدت أساليب غير مألوفة وجرأة غير مسبوقه<sup>(٦)</sup>، فقد كان روادها الأوائل مثل لوسيان فيبر Lucien Febvre ومارك بلوخ Marc Bloch منبهرين بالحاضر، رغم كونهما مختصين على التوالي في القرن السادس عشر والتاريخ الوسيط<sup>(٧)</sup>.

رفض مارك بلوخ حصر التاريخ في دراسة الماضي، وأكد على ضرورة امتداد الحقل التاريخي في الزمن الراهن، واعتبر ذلك جرأة ضرورية للمؤرخ. كما انتقد ما أسماها مهنة جامع التحف القديمة المغلقة على عبادة الماضي، واعتبر الماضي منصهراً في الحاضر وامتداداً له<sup>(٨)</sup>.

(3) Nora, P. ( ) 1974.(Le retour de l'événement, Faire de l'histoire, sous la direction de Jacques le Goff et Pierre Nora, Nouveaux problèmes, Paris: Bibliothèque des histoires, Gallimard.p227.

(٤) أورده فتحي ليسيير، تاريخ الزمن الراهن، ص ١٩.

(٥) دوس، ف. (٢٠٠٩). التاريخ المفتت: من الحوليات إلى التاريخ الجديد، (محمد الطاهر المنصوري، مترجم). بيروت: المنظمة العربية للترجمة. ص ١٠٧.

(٦) نفس المرجع، ص ٢٥.

(٧) لوغوف، ج. (٢٠٠٧). التاريخ الجديد (محمد الطاهر المنصوري، مترجم). بيروت: المنظمة العربية للترجمة. ص ١٢٢.

(٨) نفس المرجع، ص ١٢٢. - فرانسوا دوس، التاريخ المفتت، ص ١٠٦.

وذهب مارك بلوخ بعيداً في القيمة الاستكشافية للحاضر في معرفة الماضي، حين أكد على ضرورة الانتباه لعلاقة الحاضر بالماضي، فعدم فهم الحاضر يولد بالضرورة من الجهل بالماضي، ولا تكون معرفتنا بهذا الماضي مجديةً إلا من خلال فهمنا للحاضر<sup>(٩)</sup>، وهو ما يتطلب منهجاً حذراً في الربط بينهما بشكل ارتدادي، ينطلق خلالها المؤرخ من الحاضر ليصل عبر الزمن إلى مجتمعات الماضي، فتلاقي الماضي والحاضر هو الذي يفسر التاريخ حسب مارك بلوخ<sup>(١٠)</sup>.

كما انتقد بشدة المؤرخين الذين يرفضون مقارنة القضايا الراهنة، ويقبلون في الوقت نفسه أن يقوم بتلك المهمة متخصصون في العلوم الاجتماعية والسياسية<sup>(١١)</sup>.

وبادر بالاشتغال على التاريخ القريب من خلال إنجاز عمليين:

الأول: دراسته حول إشاعة الحرب، التي اعتمد فيها على تجربته كمحارب في الحرب العالمية الأولى. ونشره سنة ١٩٢١م بعنوان «تأملات مؤرخ»، حول الأخبار الكاذبة للحرب<sup>(١٢)</sup>.

أما العمل الثاني: فقد عنونه «الهزيمة الغربية»، وألفه في معمعان الحرب العالمية الثانية، وحاول فيه تفسير الأسباب العميقة لهزيمة فرنسا المخزية سنة ١٩٤٠ والاحتلال النازي لها. وتطرق فيه لموضوعات هامة؛ مثل الأخبار الزائفة أثناء الحرب وطرق انتقالها، وكشف عن عيوب ومثالب رئاسات أركان الجيوش وقادتها، في الوقت الذي عبر فيه بإعجابٍ عن نبل وبطولات صغار العسكريين<sup>(١٣)</sup>.

وأبان مارك بلوخ في هذا الصدد على قدرة في تحويل واقعه المعيش إلى مادة للتفكير التاريخي، حسب جاك لوغوف Jacques Le Goff، فقد تأمل الحدث وقت وقوعه وحلّله عملياً بعيداً عن أي أرشيف أو أية وثيقة يمكن أن تكون ضروريةً للمؤرخ<sup>(١٤)</sup>.

(٩) بلوخ، م. (٢٠١٢). دفاعاً عن التاريخ أو مهنة المؤرخ، (أحمد الشيخ، مترجم). القاهرة: المركز العربي الإسلامي للدراسات الغربية. ص ٢٧.

(١٠) - جاك لوغوف، التاريخ الجديد، ص ٩٣.

- فرانسوا دوس، التاريخ المفتت، ص ١٠٥.

(١١) مارك بلوخ، دفاعاً عن التاريخ أو مهنة المؤرخ، ص ١٦.

(12) Garcia, P. (2009). Essor et enjeux de l'histoire du temps présent. La revue pour l'histoire du CNRS, consulté le 08 février 2018. URL: <http://histoire-cnrs.revues.org>

(١٣) مارك بلوخ، دفاعاً عن التاريخ أو مهنة المؤرخ، ص ١١٦.

(١٤) نفس المرجع، ص ٥٧.



أما لوسيان فيفر فقد أكد في درسه الافتتاحي في جامعة ستراسبورغ سنة ١٩١٩م أن كل تاريخ يكتب انطلاقاً من الحاضر، ومعرفة الحاضر من الأهمية بمكان لفهم الماضي، وهو الموقف نفسه الذي عبر عنه أيضاً سنة ١٩٣٣م؛ حين اعتبر أن المؤرخ ينطلق من الحاضر ومن خلاله دائماً يعرف ويفسر الماضي؛ لأن الحاضر يساعد على فهم الماضي من جهة ويثري معرفته ويمنحه قيمة استكشافية من جهة أخرى، فالحاضر والماضي - حسب لوسيان فيفر - يدخلان في علاقة جدلية تضعهما في المستوى نفسه من حيث الأهمية<sup>(١٥)</sup>.

انعكست هذه الأهمية التي أُعطيت للتاريخ القريب من قبل الآباء المؤسسين لمدرسة الحوليات، بشكل واضح في الحضور القوي للموضوعات الراهنة، في مجلة الحوليات التي أسسها كل من بلوخ وفيفر عام ١٩٢٩، والتي أكدت على ضرورة تناول قضايا الزمن الحاضر حتى تتمكن من فهم عصر يمرُّ بمرحلة عدم استقرار نهائية والعيش فيه<sup>(١٦)</sup>.

وانطلاقاً من ذلك شكلت المقالات التي تتناول القضايا الراهنة، ما بين ثلث ونصف مجموع المقالات المنشورة ما بين ١٩٢٩ و١٩٣٩<sup>(١٧)</sup>، وشملت مواضيع مثل تداعيات الأزمة الاقتصادية الكبرى لسنة ١٩٢٩، وسياسة النيوديل في الولايات المتحدة الأمريكية، وسياسة التخطيط الاقتصادي في الاتحاد السوفياتي، وظهور النازية<sup>(١٨)</sup>.

غير أن هذه الأهمية التي حظي بها تاريخُ الزمن الراهن من قبل الجيل المؤسس لمدرسة الحوليات تراجعت مع الجيل الثاني، وتحديداً مع فرنان بروديل Fernand Braudel؛ الذي احتقر التاريخ الحدائي واعتبره حوادثاً طرقت من معطيات ثانوية جداً، وأكد على العكس من ذلك؛ أن الأهم هو الهياكل ذات الأمد الطويل<sup>(١٩)</sup>.

كما قلل بروديل من أهمية المدد القصيرة، واعتبرها تاريخاً بتذبذبات قصيرة سريعة وفجائية، وحذر من تناول التاريخ القريب، وشبّهه بهيجان السطح، في إشارة إلى البحر، في حين أن المطلوب

(15) Bédarida, F. ) janvier- mars 2001 (. Le temps présent et l'historiographie contemporaine, Vingtième Siècle, revue d'histoire,)69 (, p157.

(١٦) جاك لوغوف، التاريخ الجديد، ص٩٢.

(١٧) فرانسوا دوس، التاريخ المفتت، ص١٠٦.

(١٨) فتحي ليسر، تاريخ الزمن الراهن، ص٢٦.

(١٩) التيمومي، الهادي. (٢٠١٣). المدارس التاريخية الحديثة (ط١). القاهرة: دار التنوير للطباعة والنشر. ص٢٣٣.

من المؤرخ الغوص في الأعماق، كما اعتبره تاريخًا حارقًا لا يمكن أن يشتغل به سوى الإخباريون والصحفيون.

ونتيجة لذلك تراجمت المقالات التي تناولت التاريخ القريب في مجلة الحوليات، بأكثر من ثلاث مرات ما بين ١٩٥٧ و١٩٧٦<sup>(٢٠)</sup>.

استمر هذا الموقف الرفض لمقاربة قضايا التاريخ الراهن أيضًا من لدن جماعة التاريخ الجديد، التي ظهرت في سبعينيات القرن العشرين، وشكلت الجيل الثالث لمدرسة الحوليات. ويمكن استثناء كل من الصحفي جان لاکوتير Jean Lacouture صاحب التاريخ الآني<sup>(٢١)</sup>، وبيير نورا Pierre Nora صاحب عودة الحدث، الذي رفض باستمرار فرضية القطع بين الماضي والحاضر<sup>(٢٢)</sup>، وأكد عكس ذلك تمامًا؛ أن مؤرخ الحاضر هو من يعود إليه أن يجعل الماضي ينبثق بصورة واعية في الحاضر، بدلًا من جعل الحاضر ينبثق بصورة لا واعية في الماضي<sup>(٢٣)</sup>.

هكذا إذن ظل تاريخ الزمن الراهن ولمدة طويلة حسب فرانسوا سولي François Soulet تاريخًا مخزيًا خفيًا منكرًا، لقي الاحتقار والإهمال وتعاطاه أصحابه على هامش المشهد الأكاديمي. وشملت هذه القسوة أيضًا الباحثين الذين خاضوا فيه، فاعتبروا سذجًا وهامشين، ووُصفت كتاباتهم بالتفاهة وبالتاريخ الصغير<sup>(٢٤)</sup>.

وقد تطلب الأمر الانتظار إلى غاية نهاية السبعينيات من القرن الماضي؛ لكي تتم إعادة الاعتبار لتاريخ الزمن الراهن، فأصبح الاهتمام به ضروريًا بالنسبة إلى الكثير من المؤرخين.

ولم يبق مجال التاريخ مقتصرًا على الماضي كما في السابق، وإنما توسع ليشمل الحاضر أيضًا، وازدهر التأليف فيه بشكل غير مسبوق. وأمكن الحديث بالتالي عن تحول إسطوغرافي مهم بفعل اندماج التاريخ الراهن في مجال الكتابة التاريخية.

(٢٠) فتحي ليسير، تاريخ الزمن الراهن، ص ٢٥.

(٢١) لاکوتير، ج. (٢٠٠٧). التاريخ الآني، (محمد الطاهر المنصوري، مترجم). بيروت: المنظمة العربية للترجمة. ص ٣٦٩.

(22) Pierre Nora, Le retour de l'événement, p 227.

(٢٣) فرانسوا هارتوغ، تدبير التاريخانية الحاضرة وتجارب الزمن، ص ٢١١.

(٢٤) فتحي ليسير، تاريخ الزمن الراهن، ص ٢٥.



جاء هذا التحوُّل في سياق اجتماعي وإبستمولوجي؛ تمثل في التحولات الثقافية لسنة ١٩٦٨ ونهاية عهد الرخاء وسيادة التشاؤم بفعل الركود الاقتصادي لسنة ١٩٧٣<sup>(25)</sup>.

كما أحدثت المتغيرات الكبيرة التي عرفها العالم خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين، والمتمثلة في سقوط جدار برلين سنة ١٩٨٩، وانتهيار الاتحاد السوفياتي سنة ١٩٩١، والثورة الكبرى التي عرفها العالم في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وتحول الهيمنة الأمريكية على العالم إلى هيمنة ساحقة- هزاتٍ سياسيةٍ عصفت بالعالم، ونتج عنها طلبٌ شديدٌ على الدراسات التحليلية<sup>(26)</sup>، فكان من الطبيعي أن تتعدد التفسيرات والتحليلات لهذه الأحداث، التي خرجت عن كل توقع وعصفت بالنظام العالمي لما قبل ١٩٨٩<sup>(27)</sup>.

لكن وأمام عجز باقي العلوم الاجتماعية والسياسية عن مُسايرة هذه التقلبات الهادرة، وما نجم عنها من تداعيات، وعدم قدرتها على تقديم صورة معقولة عن الأوضاع المستقبلية- تولّد إحساسٌ عامٌ بعدم الاطمئنان والخوف مما يخبئه المستقبل، عند فئات واسعة من الرأي العام، التي التجأت إلى المؤرخين لمساعدتهم على فهم التحولات والمتغيرات الراهنة وتوضيح ملامساتها.

وانطلاقاً من ذلك نشأ طلبٌ اجتماعيٌّ على التاريخ، وتعززت صداقية المؤرخين، وارتفع الطلبُ عليهم من قِبَل وسائل الإعلام، بعد أن اتضح للجمهور المتابع أن حضورَ المؤرخ المتخصص من شأنه أن يُساعد على تأصيل الوقائع الراهنة وموضعها في المدة الطويلة<sup>(28)</sup>.

وكان المؤرخون الفرنسيون سبّاقين إلى الاهتمام بتاريخ الزمن الراهن، فقد شكّل تأسيسُ معهد تاريخ الزمن الراهن في فرنسا سنة ١٩٧٨، من قِبَل المؤرخ الفرنسي فرانسوا بيداريدا François Bédarida، على أنقاض لجنة تاريخ الحرب العالمية الثانية- علامةً مهمّةً على هذا التحول، وانكَبَّ على دراسة مواضيع راهنة كثيرة، منها الحرب العالمية الثانية، والنازية، والمذابح التي ذهب ضحيتها اليهود إبان الحرب، وحروب تصفية الاستعمار، وانتهيار المعسكر الاشتراكي، وتفتت الفيدرالية اليوغسلافية<sup>(29)</sup>.

(25) Patrick Garcia, Essor et enjeux de l'histoire du temps présent.

(26) الهادي التيمومي، م.س، ص ٢٣٢.

(27) فتحي ليسير، تاريخ الزمن الراهن، ص ٢٨.

(28) نفسه.

(29) François Soulet , L'histoire immédiate, p33.

الهادي التيمومي، م.س، ص 231.

## ◀ ثانيًا: تاريخ الزمن الراهن وتجاوز المُعيقات والتحفُّطات:

رغم أن ولادته لم تكن سهلة؛ إذ لم تتمكن سفينة التاريخ الراهن من الرُّسُو والابتعاد عن العواصف، إلا بعد مرور سنوات على تأسيس معهد تاريخ الزمن الراهن، فقد نجح هذا الحقل التاريخي في ظرفٍ أقل من عشرين سنة في اكتساب المشروعية، بعدما تمَّ اليوم تجاوزُ النقاش الذي كان قد طفا على المسرح الأسطوغرافي المعاصر، من أجل إثبات شرعية التاريخ الراهن، وأصبح يكتسب اعترافًا مستحقًا، ولم يعد أحدٌ من المؤرخين المحترفين في العالم تقريبًا يشكك في شرعيته وعلميته وخصوصيته، على حد تعبير فرانسوا بداريدا<sup>(30)</sup>، أو حسب تعبير روني ريمون René Rémond، فإن المعركة من أجل إدماج القضايا الراهنة ضمن حقل التاريخ قد ربحت<sup>(31)</sup>.

وتؤكد هذه الخطوة التي بات يتمتع بها هذا الحقل التاريخي اليوم في العالم، أن المسرح الإسطوغرافي قد تغيَّر في مدة لا تتجاوز العشرين سنة، بعد حدوث ما يُشبه الثورة الهادئة في مجال الكتابة التاريخية خلال هذه الفترة الأخيرة، انتقلت بالتاريخ الراهن من حقل كان مطلوبًا منه إثبات انتمائه التام والكامل إلى مجال البحوث التاريخية، إلى حقل أصبح يُقدم نفسه على أنه طريقة عملية مجددة يمكن لمؤرخي الفترات التاريخية الأخرى الاستلهاً منها والتأسي بها<sup>(32)</sup>.

أصبح تاريخ الزمن الراهن بفضل هذا التطور الذي عرفته المعرفة التاريخية، في أوروبا والعالم في العقدين الأخيرين من القرن الماضي - قطاعًا إسطوغرافيًا متداولًا، يحتل مكانة هامة في مجموع الإنتاج التاريخي الأكاديمي، له طرائقه ومتخصُّصوه، وتُعقد له المؤتمرات والملتقيات<sup>(33)</sup>.

كما أن العديد من الاعتراضات والتحفُّطات التي كانت موجهةً ضد تاريخ الزمن الراهن، والتي اعتبرت سابقًا عقباتٍ تحُول دون اقتحام هذا الحقل التاريخي، أصبحت اليوم متجاوزةً بعد تطوره وترسخه.

(30) Bédarida, F. (1993). Temps présent et présence de l'histoire, Écrire l'histoire du temps présent, Paris: CNRS-Éditions, p 48

(31) Delacroix, C. (2004). Demande sociale et histoire du temps présent, une normalisation épistémologique ?, Espaces Temps, 86(, p108.

(32) فتحي ليسير، تاريخ الزمن الراهن، ص 33.

(33) Henry Rousso, L'histoire du temps présent, vingt ans après, in L'histoire du temps présent, hier et aujourd'hui, Bulletin de l'IHTP n°75, juillet 2000, p1.



يتعلق الأمر بالمفهوم المقدس للبعد الزمني الذي كان يبدو كرمزٍ وكضمانة ضرورية للموضوعية<sup>(34)</sup>. فقد عرف مفهوم الزمن تغييرًا مهمًا، فهذا الأخير يبقى حاضرًا باستمرارٍ، فلا يوجد زمن ماضٍ يحق للمؤرخ أن يبحث فيه، ولا زمن بمعنى فترة تاريخية يمكن أن تنتهي بأن تصبح تاريخيةً، لا توجد سوى استمرارية واحدة للزمن.

والزمن الحاضر بالنسبة للمؤرخ هو الزمن الذي يعيشه في الحاضر، ويبحث في إشكالياته المتجددة، كما أن الزمن الحاضر بالنسبة للمؤرخ هو أيضًا الزمن الماضي، الذي يعد حاضرًا بالنسبة إليه؛ لأن التساؤلات التي يعالجها تشكلت في الحاضر. فالمؤرخ دائمًا هو ابنُ حاضره، يحمل همومه ويسائل عبرها ماضيه<sup>(35)</sup>.

كما دلت العديد من الأمثلة أنه ليس من الضروري توفّر مسافة زمنية كي نستطيع تناول أحداث معينة ومقاربتها<sup>(36)</sup>؛ ذلك أن الكتابات التاريخية التي تُعدّ اليوم من المصادر الأساسية في كتابة التاريخ العام للإنسانية جاءت بأقلام مؤرخين في الراهن، دون أن تفصل بينهم وبين موضوعاتهم مسافة زمنية<sup>(37)</sup>.

وفي المقابل فإن وجودَ الفاصل الزمني بين الباحث وموضوعه لا يضمن بالضرورة الموضوعية حسب روني ريمون، فالمقاربة التاريخية للعديد من الحوادث التي تنتمي إلى حقب تاريخية بعيدة لم تسلم من ذاتية الحاضر ورهاناته، بمعنى أن الخوض فيها مازال مثارًا للخطِّ والمساجلات الساخنة<sup>(38)</sup>. وبالتالي تبين باللمس أن مسألة الموضوعية والذاتية غير مرتبطين بحقبة زمنية معينة.

(34) François Bédarida. Le temps présent et l'historiographie contemporaine..., op.cit, p156

(35) Roussellier Nicolas. L'histoire du temps présent: succès et interrogations, In: Vingtième Siècle, revue d'histoire, n°37, janvier-mars 1993, p 139

(36) François Bédarida, méthode et pratique de l'histoire du temps présent, in correspondances, n 24, octobre, 1996, p4.

(37) يعتبر تاريخ الزمن الراهن ممارسة قديمة، فالعديد من الكتابات التاريخية التي تشكل اليوم مرجعًا أساسيًا في تاريخ البشرية، أنتجها مؤرخون حول التواريخ القريبة منهم من دون مسافة زمنية تفصل بينهم وبين موضوعاتهم، مثل المؤرخان اليونانيان هيروديت وتوسيديد والمؤرخ الروماني بوليبيد وابن خلدون، وغيرهم ممن أخذوا مادتهم من أفواه الشهود والفاعلين المباشرين، وكانوا بالتالي أول من باشر معالجة ما نسميه اليوم بالمصادر الشفوية.

(38) René Rémond, L'histoire contemporaine, in L'histoire et le métier d'historien en France, 1945-1995, Paris, 1995, p25.

كما أن العديد من مؤرخي الزمن الراهن استبدلوا المسافة الزمنية المفقودة بمسافة منهجية، واعتمدوا أدوات منهجية جديدة في معالجتهم لقضايا الزمن الراهن، بل أكثر من ذلك اعتبروا وجود مسافة زمنية بين الباحث وموضوعه يشكل عائقًا، لأنها تحرم المؤرخ من شهادات لا تعوض، وتعقد مهمته المتمثلة في الولوج إلى ذهنيات وسلوكيات زمن مغاير حسب روني ريمون<sup>(39)</sup>.

ساهم نجاح حقل تاريخ الزمن الراهن في إعادة تعريف القراءة التاريخية للحدث، وفي الوقت نفسه إعادة النظر في البعد الزمني بالنظر إلى العلاقة المختلفة بين المؤرخ والوقائع التاريخية، مما شكل نهاية القطيعة بين الماضي والحاضر.

وحسب فرانسوا بيداريدا فإن التحفظات الحقيقية على تاريخ الزمن الراهن تتعلق بمسألة مهمة، تتمثل في عدم اكتمال الحدث موضوع الدراسة، فالعائق الأكبر الذي يواجه مؤرخ الزمن الراهن مطالبته بتحليل وتفسير موضوع لا يعرف نتيجته ونهايته<sup>(40)</sup>.

فتاريخ الزمن الراهن هو بطبيعته تاريخ غير مكتمل، يتميز بحركيته التي تعكسها التقلبات التي تجري أمام أعيننا والمتجددة باستمرار، لهذا قد يسقط مؤرخ الزمن الراهن في سرد الأحداث والاجتهاد في تفسيرها وتشخيصها والتعليق عليها، الأمر الذي لن ينأى بالموضوع عن الذاتية وإصدار الأحكام والمواقف في الوقت الذي يتطلب فيه التاريخ الدراسة الموضوعية والتحليل البارد<sup>(41)</sup>.

غير أن بيداريدا يعتبر أن عدم اكتمال حلقات موضوع البحث، ورغم وجهة هذا الاعتراض، فإنه لا يمكن أن يشكل عائقًا، كما برهنت على ذلك النجاحات العديدة التي حققتها الكتابات حول التاريخ القريب، بل يمكن اعتبارها فرصة مباركة لنزع الحتمية عن التاريخ القريب؛ فالكتابات التاريخية مهما بلغت في توثيقها الجيد تبقى في نهاية المطاف نسبية<sup>(42)</sup>.

كما أن عجز مؤرخ الزمن الراهن عن معرفة خاتمة ما يدرس قد يكون عاملاً إيجابياً، فمعرفة نهاية معركة ما قد تؤدي إلى سوء تقدير قوة المغلوب وحيويته<sup>(43)</sup>. كما أنه يُتيح

(39) René Rémond, L'histoire contemporaine, op.cit , p25.

(40) François Bédarida. Le temps présent et l'historiographie contemporaine..., op.cit, p 154.

(41) - صالح شكاك، من المغرب المعاصر إلى المغرب الراهن إشكاليات الاستمرار والتحول، التاريخ الحاضر ومهام المؤرخ، تنسيق محمد كنيب، ط ١، الرباط، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات و مناظرات، رقم ١٥٨، ٢٠٠٩، ص ٥٩.

(42) François Bédarida, Le temps présent et l'historiographie contemporaine...,op.cit, p 156.

(43) جان لاکوتور، م.س، ص ٣٨٣.



للمؤرخ- حسب فرانسوا سولي- إمكانية النظر إلى جميع الاحتمالات ودراسة كل الفرضيات، مما يتطلب منه القيام بتحليل شامل لجميع العوامل المؤثرة<sup>(٤٤)</sup>.

## ◀ ثالثاً: تاريخ الزمن الراهن: رهانات وتحديات جديدة:

اكتسب تاريخُ الزمن الراهن خلالَ العقود الأخيرة مكانةً مهمةً في المسرح الإسطوغرافي، رغم العراقيل المتعددة التي وُضعت في مساره.

ويمكننا التمييز في هذه الطفرة التي حققتها الإسطوغرافيا المعاصرة- حسب فرانسوا بيداريدا- بين ثلاث مستويات:

يتعلق المستوى الأول بالحقل التاريخي؛ حيث تم الانفتاح على دراسة فترة تاريخية، ظلت مغيبَةً وغير معترف بها سابقًا، أي الفترة المعاصرة بمفهومها الدقيق.

في حين يتمثل المستوى الثاني في هذا الورش التاريخي الجديد، في وسائل عمل المؤرخ التي أصبحت جدًّا متنوعة وتشمل المصادر الشفاهية- الشهود والشهادات، السينما والفيديو. إضافة إلى ضرورة الأخذ بعين الاعتبار الطلب الاجتماعي والشراكة مع باقي العلوم الإنسانية والاجتماعية.

أما المستوى الثالث فيمكننا الحديثُ من خلاله عن طفرةٍ إبستمولوجية؛ لأن الإشكاليات المتناولة أفضت إلى مقارنةٍ تاريخيةٍ جديدة في المنهج، وعلاقةٍ مختلفة مع الزمن، في إطار ثنائية ماضي حاضر<sup>(45)</sup>.

غير أنه وبموازاة هذه الوضعية التي أصبح يحظى بها تاريخُ الزمن الراهن والمكتسبات التي راكمها، فإن هذا النجاح يبدو هشًّا حسب هنري روسو Henri Rousso، بسبب وجود تخوُّف من عودة التحفظات العلمية السابقة، لا سيما وأن هذا القطاع الإسطوغرافي قد تشكَّل بصعوبة، وفي إطار صراعات فكرية وسياسية يمكن أن تُعاود بالظهور<sup>(46)</sup>.

إضافة إلى ذلك فقد طفت على السطح إشكالياتٌ جديدة، وأصبحت تُواجه مؤرخي الزمن الراهن تحدياتٌ مختلفة، تهدد بذوبانه كتخصصٍ تاريخي، ومحو كل خصائصه.

(٤٤) ليسير فهمي، تاريخ الزمن الراهن، ص٧٤.

(45) François Bédarida, Le temps présent et l'historiographie contemporaine..., op.cit, p 155.

(46) Henry Rousso, op.cit, p1.

وعلى عكس نهاية الثمانينيات؛ حيث كان الجدُّ قائماً حول شرعية تاريخ الزمن الراهن وإمكانية القيام به، أصبح النقاش اليوم يدور حول خصائص هذه الفترة ورهاناتها، وهي نقاشات صارت تفرض نفسها، ولا يجب أن يتجاهلها مؤرخو الزمن الراهن.

ولعل أخطر هذه التحديات ما يمكن تسميته بالمسؤولية الاجتماعية للمؤرخ، ودور الشاهد كخاصية تميز هذه الفترة الراهنة<sup>(47)</sup>.

### 1- وظيفة المؤرخ الخبير:

تعتبر الروابط المتناقضة التي يُقيمها اليوم تاريخُ الزمن الراهن مع الطلب الاجتماعي<sup>(48)</sup>، وخصوصاً قضية الخبرة- من أبرز التحديات التي أصبحت تُواجه هذا الحقل التاريخي بشكل خاص، والمعرفة التاريخية عموماً، ويمكن أن تشكل انحرافاً منهجياً يُهدد بإضعاف الشرعية العلمية لتاريخ الزمن الراهن<sup>(49)</sup>.

فالعديد من البلدان تشهد اليوم مؤشراتٍ على تحوُّل عميق في الوظيفة الاجتماعية والسياسية للتاريخ. فإضافةً إلى ضغط الطلب الاجتماعي المتزايد، وتضاعف عدد المؤسسات التي أصبحت تطلبُ خبراءً في مجال التاريخ، في ظل اعتماد المجموعة الدولية مبدأً عدم تقادم الجرائم ضد الإنسانية، والطفرة التي عرفتتها المطالبات المذكراتية، ووجود توجه تاريخي يرتكز على رصد المظالم التاريخية والمطالبة بإصلاحها، والتعويض عنها في سبيل تحقيق العدالة والإنصاف- أصبح أيضاً جزءاً هاماً من الرأي العام في هذه الدول الغربية، وفي باقي الدول التي تعيش مراحل انتقالية، يهتمُّ بشكلٍ لافتٍ بالماضي، ويسعى إلى التصرُّف فيه بمفعول رجعي بحثاً عن حقيقة قضائية؛ وذلك بسبب عدم قدرة المؤرخين على الإقناع وفشلهم في فرض حقيقةٍ تؤسس للرابطة الاجتماعية، لأنهم لا يتوقَّرون على الأهلية لذلك، عكس القضاء الذي يحسم ويفرض الحقيقة.

(47) Patrick Garcia, op.cit.

(48) يعرف هنري روسو الطلب الاجتماعي بأنه "تلك المشاريع البحثية التي تترجم انتظارات جهات ومؤسسات لا تنتمي إلى الوسط العلمي، وتسعى إلى تحقيق غايات غير مرتبطة بالمعرفة العلمية"، انظر:

- Henry Rouso, op.cit, p6.

(49) أكد لوسيان فيفر في درسه الافتتاحي في جامعة ستراسبورغ في ١٩١٩ أن التاريخ الذي يؤدي وظيفة يصبح عبداً، انظر:

- Patrick Garcia, op.cit.



ونجم عن هذه الوضعية ضغوطاً كبيرةً على المؤرخين؛ بهدف تحويلهم إلى خبراء، وتحديدًا إلى خبراء قضائيين، لاسيما بعد أن كشف القضاء في هذه البلدان عن حاجتهم الملحة لخبرة المؤرخين<sup>(٥٠)</sup>.

وانطلاقاً من ذلك بدأت تنتشر في الأوساط الأكاديمية فكرة أن المؤرخ هو قبل أي شيء خبيرٌ أو قاضٍ، وصار عددٌ من مؤرخي الزمن الراهن يعملون على ترسيخ هذه الصورة<sup>(٥١)</sup>؛ فأصبحوا يتعاملون مع وسائل الإعلام، ويُعيّنون خبراء من قبل الإدارات والمؤسسات وفي مختلف اللجان، وصاروا مطالبين بالإدلاء بشهاداتهم أمام القضاة أثناء المحاكمات؛ خاصة تلك المتعلقة بمعالجة نزاعات الذاكرة<sup>(٥٢)</sup>، والتي شملت فترات تاريخية مختلفة، مثل تجارة الرقيق ومظالم الأقليات في أمريكا وأستراليا، وجرائم الاستعمار الأوربي في أفريقيا وآسيا، إضافة إلى الجرائم التي ارتكبتها الأنظمة الشمولية في مناطق مختلفة من العالم.

يتعلق الأمر بوظيفة جديدة أصبح مؤرخُ الزمن الراهن مُطالبًا بالقيام بها، وهي وظيفة الخبير التي تعني حسب هنري روسو (Rouso, 2000, p9) توفير مجموعة من المعطيات والمعارف لخدمة عمل عمومي أو خاص، لكن ليس بهدف فهم الواقع فقط، وإنما أيضاً السعي إلى تغييره.

وهي وظيفة لا تدخل ضمن اختصاصات المؤرخ، وتشبه الخبرات التي يقوم بها الأطباء والمهندسون والمحاسبون وغيرهم من المختصين، الذين يعينهم القاضي بغرض إجراء مهمة تقنية لمسألة معروضة على القضاء، وتكون موضوع تقرير يودعه.

(٥٠) ليسير فهمي، تاريخ الزمن الراهن، ص ٩٦.

(51) Delacroix Christian, op.cit, p108.

(٥٢) شهدت فرنسا في العقود الأخيرة دعاوى أقيمت على جرائم ضد الإنسانية كان يقال: إنها ترفع بهدف إحياء ذاكرة الشعب. مع ذلك ارتفعت بعض الأصوات عالياً تسأل هل يتحتم علينا إثارة القضايا داخل أروقة المحاكم للإبقاء على ذاكرة الشعوب حية، ومن بين هذه القضايا قضية موريس بابون الذي كان موظفاً سابقاً في نظام فيشي المتعاون مع النازية، وكان مسؤولاً عن إرسال اليهود إلى مخيمات التصفية النازية خلال الحرب العالمية الثانية، وتمت محاكمته سنة ١٩٩٨ بتهمة التواطؤ في جرائم ضد الإنسانية. وقد شهدت فرنسا عشية النطق بالحكم في هذه القضية. تخوُّف البعض من تبرئة المتهم فأخذوا يحذرون الرأي العام من مغبة هذا الوضع، وبالتالي كان المتهم قد خسر القضية مسبقاً حسب بيير نورا، الذي تساءل قائلاً: هل نستطيع التأكيد على أن هيئة المحلفين لم تتعرض لأي ضغط حين إصدار حكمها في الوقت الذي أصدرت وسائل الإعلام المحترمة وسياسيو كافة الأحزاب إدانتهم لبابون قبل قرار المحكمة بوقت طويل؟ انظر:

- تزفيتان تودوروف، الأمل والذاكرة خلاصة القرن العشرين، ترجمة نيرمين العمري، العبيكان للنشر، ٢٠٠٦، صص ٢٨٢-٢٨٧.

وقد نتج عن هذه الوضعية "تداخل في الوظائف بين التاريخ والعدالة، فتناول القضاة على دور المؤرخين وأصبح يطلب من هؤلاء أن يقوموا بأدوار القضاة". (Redmond, 1990, p30).

ومما يزيد من خطورة هذه الظاهرة أن الضحايا وورثتهم المباشرين ذوي المصالح قد حددوا وضعًا خاصًا، أصبح من خلاله المؤرخ مجبرًا على عدم تقديم سوى التفسيرات المقبولة للماضي<sup>(٥٣)</sup>.

وقد رفض العديد من المؤرخين تحول مؤرخ الزمن الراهن إلى خبير، واعتبروا ذلك انحرافًا ينذر بحدوث تحوُّل عميق في وظيفة المؤرخ والتاريخ، ويتهدد المهنة وقواعدها وأخلاقياتها، بما أن هدف المؤرخ لم يعد هو التفسير وتحري الحقيقة ومحاولة الفهم، وإنما الدفاع عن قضية ما؛ ذلك أن الاعتراف بصفة المؤرخ الخبير تنطوي على خطر توظيف البحث التاريخي ضمن إستراتيجيات سياسية، وما يستتبع ذلك من نتائج سلبية تطال البحث التاريخي<sup>(٥٤)</sup>. كما أن الماضي حين يخضع للإجراء القضائي، وتتوقف العدالة عن كونها مصدرًا للوثائق التي تقدم للمؤرخ من أجل تحليلها وتصبح إخراجًا للمعرفة التاريخية، فإن ذلك لا يخدم البحث التاريخي في كثير من الأحيان<sup>(٥٥)</sup>.

لكن وفي ظل ضغوطات الرأي العام وحجم الإكراهات التي باتت تعترض عمل المؤرخ، فإن معظم المؤرخين أصبحوا واعين بأن الانكفاء على الذات، والتمادي في تجاهل الرهانات الجديدة لوظيفة المؤرخ والهروب إلى الأمام بات عقيمًا بقدر ما هو عبثي، لذلك ألحوا على أن تتم تلك الاستجابة وفقًا لشروط؛ منها ضرورة بقاء المؤرخ سيد بحثه، ووجوب خلق ظروف تبادل حوارٍ مع صاحب الطلب<sup>(٥٦)</sup>.

وكان بيداريدا نفسه قد عبر عن هذه التخوفات بشكل مبكر منذ ثمانينيات القرن العشرين، بخصوص ما أسماه التحدي الذي يشكله الطلب الاجتماعي متسائلًا: " أين تتجلى حرية المؤرخ في مواجهة ضغط الطلب الاجتماعي؟"<sup>(٥٧)</sup>.

ومن هنا تأتي دعوته إلى وضع مسافة مع ضغط الطلب الاجتماعي؛ فالتاريخ قبل أن يستجيب لانتظارات الدولة والإعلام والجمهور، فإنه يستجيب - وقبل كل شيء - لضرورة معرفية، لكن ذلك

(53) Patrick Garcia, op.cit.

(٥٤) فتحي ليسير، تاريخ الزمن الراهن، ص ١٠١.

(٥٥) تزفيتان تودوروف، م.س، ص ٢٨٢.

(٥٦) فتحي ليسير، تاريخ الزمن الراهن، ص ١٠١.

(57) Delacroix Christian, op.cit, p108.



لم يمنعه من دعوة مؤرخي الزمن الراهن إلى التفاعل مع الطلب الاجتماعي المتزايد، والاضطلاع بوظائفهم الاجتماعية ومسؤولياتهم في المجتمع، دون ترددٍ، وتقديم إجابات حول تساؤلات الزمن الراهن، والسعي إلى جعل الحقل التاريخي حقلًا عمليًا تطبيقيًا وليس وصفات علمية جافة لا علاقة لها بالواقع الاجتماعي، ولكن في استقلالية تامة وفي احترام لقواعد المهنة<sup>(58)</sup>.

شكّل هذا الطموح النبيل والقديم لموضوعية المؤرخ الراهن الرئيس لتدبير التناقض، الحاصل بين الوظيفة المعرفية للتاريخ ووظيفته الاجتماعية. وقد استعاد ريني ريمون الذي يُعد من أكبر المناصرين لتاريخ الزمن الراهن هذا التناقض، وأبرز إمكانية التوفيق بين طلبين ملحين وأيضًا متناقضين، أي بين اضطرار المؤرخ للاستجابة للطلب المتزايد على التاريخ من المجتمع، وخاصة المساعدة في تحديد الهوية الوطنية والجهوية، وبين مهمة المؤرخ في إبراز الحقيقة<sup>(59)</sup>.

أما هنري روسو فقد دعا من جهته إلى عدم الخلط بين الطلب الاجتماعي والخبرة، دون التمييز بين الفروقات الأساسية الموجودة بينهما، كما يفعل البعض لتشويه تاريخ الزمن الراهن، وطالب بصراحة بإقامة حوار مع هذا الطلب<sup>(60)</sup>.

ولإيجاد حلول للقضايا الشائكة التي يطرحها تدخل المؤرخين في الفضاء العمومي، اقترح هنري روسو عدم وضع المؤرخ في مأزق الاختيار بين الرفض المطلق لوضعيات الخبرة، وما ينتج عنه من ضياع فرصة اختبار مدى صحة الفرضيات وقياس الدقة العلمية، وبين القبول دون ضوابط، وبالتالي المغامرة بذوبان هذا التخصص في رهانات لا يضبطها وهو غير مؤهل لها أصلًا.

ومقابل ذلك يمكن لمؤرخ الزمن الراهن- حسب هنري روسو- أن يستجيب في ظل شروط مضبوطة ومحددة تتمثل في ضرورة أن يتمتع المؤرخ باستقلالية تامة في بحثه، وأن يدخل في حوار مع صاحب الطلب، وأن لا يقبل سوى بوضعيات الخبرة التي تكون فيها إمكانية إجراء خبرة مضادة ممكنة، "فإذا كنا قد فضلنا نموذج المؤرخ الذي يسهم في النقاش العمومي إلى جانب آخرين، انطلاقًا من معرفته المحدودة، ولكنها مؤكدة ومشهود لها، فيجب الحفاظ على شرعية

(58) Bédarida Bédarida, "Temps présent et présence de l'histoire...", op.cit, p56.

(59) Delacroix Christian, op.cit, p109.

(60) تناول هنري روسو هذه القضية حين تحدث عن الأسباب التي دفعته لعدم تقديم شهادته في ما يعرف بمحاكمة Papon، وعلل ذلك بكون اللجوء إلى الخبرة يعني منحه قدرة على الإثبات لا يتوفر عليها، انظر:

- Henry Rousso, op.cit, p9.

وجدية هذه المعرفة لكي يستمر هذا الصوت مسموعاً وجديراً بالثقة، وبالتالي يجب ضبط وتحديد قضية الخبرة". (Rouso, 2000, p11).

## ٢- الشاهد ومؤرخ الزمن الراهن:

عرف استخدام الذاكرة انتشاراً واسعاً في العقود الأخيرة، وأضحت العلامة البارزة في وقتنا الحاضر، وصار حضور الشاهد من أبرز مميزات تاريخ الزمن الراهن، باعتباره تاريخاً تحت المراقبة، لكونه يتميز بوجود فاعليه وشهوده على قيد الحياة، وبإمكانهم التشكيك أو الطعن في إقرارات المؤرخ والاعتراض على تأويلاته اعتباراً لحضورهم الفعلي زمن وقوع الأحداث<sup>(٦١)</sup>.

اقترن هذا الحضور الكبير للذاكرة بفكرة واجب الذاكرة في سياق السعي إلى فهم الماضي وما عرفه من أزمات صادمة، كان لها تأثير كبير على مختلف المجتمعات، خاصة الحرب العالمية الثانية والإبادة الجماعية والحروب الاستعمارية ومخلفات الأنظمة الشمولية، إضافة إلى التحوُّل الذي شهده العالم المعاصر في ظل العولمة من تفكك وتسرع ودمقرطة، وبروز الاتجاه نحو صناعة المزيد من الذاكرات الجماعية، من خلال سعي العديد من المجموعات الاجتماعية إلى الاستقلال عبر الحفاظ أو استرجاع الماضي الخاص بها، فأصبح التاريخ تحت ضغط الذاكرة<sup>(٦٢)</sup>.

وبذلك صارت الذاكرة والشهادة مسألةً سياسية ورهاناً حاسماً بالنسبة إلى قراءة الماضي وتأويله، وأصبح الشاهد يمارس ضغوطاً على المؤرخ لمقاربة هذه المرحلة مقارنةً تسير وفق تمثُّلاته ولا تحيد عن الإطار الذي حدده، إلى درجة يمكن الحديث معها اليوم على طغيان الذاكرة وسطوتها واتجاهها نحو الهيمنة على تمثيل الماضي الراهن<sup>(٦٣)</sup>.

والذاكرة حسب بول ريكور Paul Ricœur هي الحاملة الأولى للتاريخ، ولولاها لما كان هناك من علم لكتابة التاريخ، وبذلك فمؤرخ الزمن الراهن مدين للشهود؛ لأن ذاكرة أولئك الذين حضروا الحدث وشهادتهم هي التي تشكل المسودة الأولى للتاريخ والمصدر الأول لمعلومات المؤرخ<sup>(٦٤)</sup>.

(٦١) فتحي ليسير، تاريخ الزمن الراهن، ص ٨٤.

(٦٢) بيير نورا، التاريخ والذاكرة، ترجمة محمد حبيدة، ضمن من أجل تاريخ إشكالي، ترجمات مختارة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة، ٢٠٠٤، ص ١٠٢.

(٦٣) عبد العزيز الطاهري، الذاكرة والتاريخ: المغرب خلال الفترة الاستعمارية (١٩١٢-١٩٥٦)، الرباط، دار أبي رقرق، ٢٠١٦، ص ١٠.

(٦٤) بول ريكور، الذاكرة، التاريخ النسيان، ترجمة وتقديم وتعليق جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى ٢٠٠٩، ص ١٦.



أما بيير نورا Pierre Nora فيعتبرها ما تبقى من الماضي في معاش الجماعات أو ما يتمثل بشأنه<sup>(٦٥)</sup>، فهي لا تُعيد إنتاج ما حصل في الماضي بل تعرض لانطباع الناس حول هذا الماضي وتمثل ما تبقى من الماضي في أذهان الناس أو ما يتصورونه بخصوص هذا الماضي، هي إذن موروث ذهني ومجموعة ذكريات تغذي التمثلات<sup>(٦٦)</sup>.

وتتميز الذاكرة بمجموعة من الخصائص، تجعلها مجرد صورة ذكرى أو مجموعة ذكريات عن ماضٍ متخيل وقت استحضاره، وغالبًا ما تغطي عليها القدسية. إنها موروث ذهني يختزل مسيرة من الذكريات الفردية والجماعية التي تغذي التمثلات المجتمعية<sup>(٦٧)</sup>.

ومن أبرز هذه الخصائص طغيان العاطفة خاصة عندما ترتبط ارتباطاً ما برهانات حاضرة، تتجسد في رأسمال مادي أو معنوي<sup>(٦٨)</sup>؛ إذ تعمل بكيفية إرادية أو لا إرادية وفق حاجيات اللحظة وحسب رهانات السياق المجتمعي، على السكوت عن مجموعة من الأحداث أو النقص من قيمتها، أو تضخيم أحداث أخرى<sup>(٦٩)</sup>.

كما تتسم أيضاً بتعدد المرجعية على مستوى الأفراد والجماعات والمؤسسات؛ إذ هناك من الذكريات بقدر ما هناك من الجماعات، وتبقى أيضاً ذات سمة ذاتية، انفعالية ورمزية.

وتتسم الذاكرة الفردية أيضاً بهشاشتها وضعفها، ومن ثم سهولة التلاعب بها واستغلالها. ويربط بول ريكور إساءات استعمال الذاكرة المقصودة بتأثيرات التحريف والتشويه الأيديولوجي<sup>(٧٠)</sup>، أي استغلال الذاكرة لإعطاء مشروعية لنظام سياسي معين، والدفاع عن مصالحه ورؤيته وتوحيد المتنوع داخل المجتمع في نسق رمزي واحد<sup>(٧١)</sup>.

(٦٥) بيير نورا، م.س، ص ١٠٠.

(٦٦) محمد حبيدة، بؤس التاريخ، مراجعات ومقاربات، الطبعة الأولى، دار الأمان، الرباط، ٢٠١٥، ص ١٥٤.

(٦٧) محمد حبيدة، التاريخ والذاكرة، مجلة يتفكرون، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، العدد الثاني، خريف ٢٠١٣، ص ٥٢.

(٦٨) يعتبر Jacques Heers أنه لا يجب الركون إلى أقوال الشهود، وأن أهميتها تكمن فقط في معرفة طريقة تفكير الشاهد، وأحكامه على الأشخاص ومواقفه منهم ومن أحداث عصره، انظر:

-Jacques Heers, L'histoire assassinée Les pièges de la mémoire, Paris, Éditions de Paris, 2006, p10.

(٦٩) عبد الأحد السبتي، التاريخ والذاكرة أوراش في تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، ٢٠١٢، ص ٢١٥.

(٧٠) بول ريكور، م.س، ص ١٤٣.

(٧١) الزوازي بغورة، الذاكرة والعدل، مجلة يتفكرون، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، العدد الثاني، خريف ٢٠١٣، ص ١٩.

ويمكن التمييز في سوء استعمال الذاكرة أو إساءة استعمالها- حسب بول ريكور- دائماً بين ثلاثة مستويات: المستوى المرضي العلاجي المتعلق بالذاكرة المعاقة. والمستوى العملي أي الذاكرة المتلاعب بها، وهو تلاعب مقصود للذاكرة والنسيان يقوم به من يملكون السلطة. والمستوى الأخير وهو الأخلاقي والسياسي<sup>(٧٢)</sup>.

أما التاريخ كعلم ينتمي إلى مجال العلوم الإنسانية فيقوم على مجموعة من الضوابط المنهجية كالتحرّي والموضوعية والنسبية والتحليل ونقد الشواهد. إنه ترتيب للماضي كما قال لوسيان فيفر، أو بناء إشكالي لهذا الماضي انطلاقاً من عملية فكرية ومعالجة منهجية تركز على التحليل والنقد حسب جاك لوغوف، وهذا البناء الإشكالي للماضي يستند على مجموعة من الضوابط المنهجية المترابطة<sup>(٧٣)</sup>، فما ينتظره القارئ من المؤرخ يختلف عما ينتظره من راوي الشهادة أو منتج الذاكرة.

فالقارئ يتربّ من الكتابة التاريخية فكّ تعقيدات الماضي، سواء كان ماضياً بعيداً أم قريباً، ومساءلة هذا الماضي والسعي إلى فهمه. إنها صياغة متجددة للذاكرة تقوم على النقد، والاحتمال، والنسبية، لإعادة بناء نسق التطورات والاستمراريات الزمنية وسببية الأشياء، بعيداً عن أشكال الحكم<sup>(٧٤)</sup>.

إن دور كتابة التاريخ- حسب بول ريكور- هو القدرة على توسيع وتصحيح ونقد الذاكرة، أي القيام بعملية تنقيح الذاكرة من أجل تعويض نقاط ضعفها على الصعيد المعرفي والبرغماتي، وخصوصاً الاستعصاء المتعلق بتمثيل شيء غائب كان قد وقع سابقاً، واستعصاء استعمالات الذاكرة وإساءة استعمالها<sup>(٧٥)</sup>.

إن المؤرخ مطالب بمعالجة إنتاج الذاكرة على نحو دقيق؛ إذ عليه أولاً ألا يثق بذاكرة الشهود، وأن يمررها في منطقة النقد عن طريق المقارنة بين مختلف الشهادات، فالشاهد يروي من ذاكرته، والذاكرة لا تستطيع- حسب بول ريكور- أن تستوعب كل تجربة الشاهد، لذا فإن سردّه يمر كذلك عبر النسيان<sup>(٧٦)</sup>.

(٧٢) بول ريكور، م.س، ص ١٣٧.

(٧٣) محمد حبيدة، بؤس التاريخ مراجعات ومقاربات...، م.س، ص ١٥٦.

(٧٤) نفسه، ص ١٦٥.

(٧٥) بول ريكور، م.س، ص ٢١٠.

(٧٦) نفسه، ص ١٦.



كما يجب على المؤرخ أيضاً أن يعمل على توضيها ومساءلتها واستجلاء مواطن قوتها وضعفها، من خلال اعتماد مجموعة من الضوابط المنهجية التي تؤطر التعامل مع الشهادة الشفاهية، كوضعها في سياقها التاريخي ومراعاة ظروف إنتاجها، والأخذ بعين الاعتبار الوضع النفسي والاجتماعي لأصحابها، ومقارنتها بوثائق مماثلة بهدف الارتقاء بها إلى مستوى وثيقة محكية تحظى بالصدقية وتحصن ذاتها من الاختراقات السلبية التي تنقص من قيمتها.

### ◀ خلاصة:

يقر المؤرخون الذين اقتحموا تاريخ الزمن الراهن وانخرطوا في مقارنة قضاياها، أنهم يواجهون عدة تحديات ورهانات جديدة أصبحت تفرض نفسها. ترتبط بشكل كبير بخصوصية حقل تاريخي جد حساس يقع في تماس مع كل من العدالة والذاكرة والمجتمع من جهة، وبخصائص هذه الفترة ورهاناتها من جهة ثانية.

كما أنهم، أي المؤرخون المتخصصون في الزمن الراهن، واعون بما قد تشكل هذه التحديات من انحراف منهجي، يهدد بإضعاف الشرعية العلمية لتاريخ الزمن الراهن، بسبب السعي نحو توظيف التاريخ ضمن إستراتيجيات سياسية، وهو ما قد يحيد بالمؤرخ عن وظيفته المعرفية، ويهدد خصوصيتها، ويضع المهنة وقواعدها وأخلاقياتها موضع شك وتساؤل.

غير أن مواجهة هذه الوضعية لا يُكمن في انعزال المؤرخ وتجاهله للرهانات الجديدة لوظيفته، ولا في الخضوع للطلب الاجتماعي بشكل مطلق وغير خاضع لضوابط منهجية وعلمية صارمة، بل في تفاعل مؤرخ الزمن الراهن مع محيطه الاجتماعي والسياسي بطريقة منظمة ومنهجية، خصوصاً في ظل التغيرات التي عرفتها العلاقة بين المؤرخ والمجال العمومي في بداية الألفية الثالثة.

## ببليوغرافيا: ◀

- ١- التيمومي، الهادي. (٢٠١٣). المدارس التاريخية الحديثة (ط١). القاهرة: دار التنوير للطباعة والنشر.
- ٢- السبتي، عبد الأحد. (٢٠١٢). التاريخ والذاكرة أورش في تاريخ المغرب (ط١). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- ٣- الطاهري، عبد العزيز. (٢٠١٦). الذاكرة والتاريخ: المغرب خلال الفترة الاستعمارية (١٩١٢-١٩٥٦) (ط١). الرباط: دار أبي رقرق.
- ٤- بغورة، الزوازي. (٢٠١٣). الذاكرة والعدل، مجلة يتفكرون، (٢). العدد الثاني، ١٦-٢١.
- ٥- بلوخ، م. (٢٠١٢). دفاعًا عن التاريخ أو مهنة المؤرخ، (أحمد الشيخ، مترجم). القاهرة: المركز العربي الإسلامي للدراسات الغربية.
- ٦- بنورا، ب. (٢٠٠٤). التاريخ والذاكرة (محمد حبيدة، مترجم). القنيطرة: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
- ٧- تودوروف، ت. (٢٠٠٦). الأمل والذاكرة خلاصة القرن العشرين (نرمين العمري، مترجم). الرياض: العبيكان للنشر.
- ٨- حبيدة، محمد. (٢٠١٣). التاريخ والذاكرة، مجلة يتفكرون، (٢). العدد الثاني، ٥٠-٥٤.
- ٩- حبيدة، محمد. (٢٠١٥). بؤس التاريخ، مراجعات ومقاربات، (ط١). الرباط: دار الأمان.
- ١٠- دوس، ف. (٢٠٠٩). التاريخ المفتت: من الحوليات إلى التاريخ الجديد، (محمد الطاهر المنصوري، مترجم). بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
- ١١- ريكور، ب. (٢٠٠٩). الذاكرة، التاريخ، النسيان (جورج زيناقي، مترجم). بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.
- ١٢- شكاك، صالح. (٢٠٠٩). من المغرب المعاصر إلى المغرب الراهن إشكاليات الاستمرار والتحول في التاريخ الحاضر ومهام المؤرخ (ط١، صص: ٥٦-٦٩). الرباط: منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالرباط.



١٣- لاکوتور، ج. (٢٠٠٧). التاريخ الآني، (محمد الطاهر المنصوري، مترجم). بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

١٤- لوغوف، ج. (٢٠٠٧). التاريخ الجديد (محمد الطاهر المنصوري، مترجم). بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

١٥- ليسير، فتحي. (٢٠١٢). تاريخ الزمن الراهن: عندما يطرق المؤرخ باب الحاضر (ط١). تونس: دار محمد علي للنشر.

١٦- هارتوغ، ف. (٢٠١٠). تدبير التاريخانية الحاضرة وتجارب الزمن، (بدر الدين عرودي، مترجم). بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

1-Bédarida, F. (janvier- mars 2001). Le temps présent et l'historiographie contemporaine, Vingtième Siècle, revue d'histoire,)69 (, 153 –160.

2-Bédarida, F. (1993). Temps présent et présence de l'histoire, Écrire l'histoire du temps présent, Paris: CNRS-Éditions, 47-59.

3-Bédarida, F. (1996 octobre). méthode et pratique de l'histoire du temps présent, correspondances,(24),4 – 9.

4-Delacroix, C. (2004). Demande sociale et histoire du temps présent, une normalisation épistémologique ?, Espaces Temps, (86),107 – 112.

5-Garcia, P. (2009). Essor et enjeux de l'histoire du temps présent. La revue pour l'histoire du CNRS, consulté le 08 février 2018. URL: <http://histoire-cnrs.revues.org>

6-Heers, J. (2006). L'histoire assassinée Les pièges de la mémoire, Paris: Éditions de Paris.

7-Nora, P. Le retour de l'événement, Faire de l'histoire, sous la direction de Jacques le Goff et Pierre Nora, Nouveaux problèmes, Bibliothèque des histoires, Paris: Gallimard.

8- Rémond, R . (2006). L'histoire contemporaine en France, 1945-1995, Paris.

9-Roussellier N, (janvier-mars 1993). L'histoire du temps présent: succès et interrogations, Vingtième Siècle, revue d'histoire, (75), 139 – 149.

10-Rouso, H. ( juillet 2000). L'histoire du temps présent, vingt ans après, L'histoire du temps présent, hier et aujourd'hui, Bulletin de l'IHTP, (75),1 – 16.

11-Soulet , F. (2009). L'histoire immédiate. Histographie, sources et méthodes, Paris: Collection U, Armand Colin.



مركز نهوض

للداسات والنشر

NOUHOUD CENTER  
FOR STUDIES  
AND PUBLICATIONS